الخصائص الآدائية للقراءات القرآنية بالغرب الإسلامي

الوقف والابتداء في مدرسة القراءات بالغرب الإسلامي

Endowment and initiation in the school of readings in the Islamic West

د . إبراهيم بودوخة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة

aboudoukha39@gmail.com

https://orcid.org/0009-0002-8208-3761

تاريخ إرسال المداخلة: .../.../2022 تاريخ القبول: ../../2020 تاريخ إلقاء المداخلة: ../../2020

لقد كان لمدرسة القراءات القرآنية في الغرب الإسلامي اهتمام وعناية بعلم الوقف والابتداء ، حيث كان الأئمة يعلمونه الطلاب ، ويراعونه في مجالس الإقراء .

واشتهرت عنهم تآليف كثيرة في هذا الفن وبالأخص مؤلفات الإمامين : أبوعمرو الداني ، وطالب بن قيس المكي لكثرتها وقيمتها

وتميزت مدرسة الغرب بتقسيمها للوقف من جهة المقروء إلى : تام ، وكاف ، وحسن ، وقبيح .

وكان لهذه المدرسة في باب الوقف والابتداء أثر كبير في غيرها من مدارس القراءات وخاصة مدرسة المشارقة .

الوقف والابتداء – الغرب الإسلامي – القراءات – الأئمة

The Quranic recitations school of Islamic West had a special interest and attention for the **science of Pause (Waqf) and Starting (Al-ibtida'), where the imams taught it to the students and took care of it during the recitation sessions.**

They are known for having written numerous works in this art, especially the works of the two imams: Abu Amr Al-Dani and Talib bin Qays Al-Maqi, due to their number and value.

The Western school distinguished itself by its division of the Pause (Waqf) of the recited text into: Al Tam, Al Kaf, Al Hassan, and Al Qabih.

This school had a great influence in the field of Pause (Waqf) and Starting (Al-ibtida') on other schools of recitation, especially the Eastern school (the Al-Mashreq school).

Pause (Waqf) and Starting (Al-ibtida'), Islamic West, Recitations, Imams.of the article).

مقدمة:

والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين ثم أما بعد :

إنّ من أهمِّ أبواب علم القراءات والتجويد : علم الوقف والابتداء ، وهو من العلوم الأصيلة حيث كان وما زال أئمة القراءة وعلماء الرواية يعطونها الأهمية البالغة ، والرعاية الدائمة من أجل إتقان القراءة وبلوغ الإجادة والإجازة.

ومدرسة القراءات في الغرب الإسلامي كغيرها من مدارس القراءات كان لها من يميزها في هذا العلم ، لذلك كان اختيارنا – على بركة الله – لعنوان : الوقف والابتداء في مدرسة القراءات بالغرب الإسلامي

إشكالية المداخلة :

حيث نبحث في هذا العنوان عن : الوقف والابتداء عند مدرسة القراءات القرآنية بالغرب الإسلامي : اهتماما ورعايةً ، ونشأة وتأسيساً ، وتقعيداً وتحريراً ، وكتابة وتأليفاً .

ونجيب عن أسئلة منها :

1. كيف كان اهتمام علماء وقراء الغرب الإسلامي بالوقف والابتداء ؟
2. ما هي أهم الكتب والتآليف في هذا الباب ؟
3. وبماذا تميزت مدرسة القراءات في الغرب الإسلامي عن غيرها من المدارس في باب الوقف والابتداء ؟

الهدف من المداخلة : ولا شك أنَّ أهم أهدافنا في هذا البحث : هو تقديم مداخلة علمية شاملة حول جهود علماء القراءات في الغرب الإسلامي في باب الوقف والابتداء .

المنهج : معتمدينَ في ذلك على المنهج الاستقرائي والتحليلي الذي يقوم على البحث والنظر للوصول إلى معالم وخصائص هذه المدرسة العريقة في علم الوقوف .

تقسيمات المداخلة :

مقدمة : التعريف بمدرسة القراءات بالغرب الإسلامي ، وكذلك تعريفات الوقف والابتداء

مباحث المداخلة :

أولاً : اهتمامُ الأئمة بهذا العلم تعليماً وتجويدا

ثانياً : الكتب والمؤلفات في علم الوقف والابتداء

ثالثاً : مذاهبهم في علم الوقف والابتداء

رابعاً : أثرهم في غيرهم من مدارس القراءات في باب الوقف والابتداء خاصة

الخاتمة : وتحتوي مجمل نتائج المداخلة والتوصيات التي تريد التنبيه إليها

مقدمات وتعاريف لعلم الوقف والابتداء

1.2 تعريف الوقف والابتداء لغة واصطلاحا :

ففي اللغة: وهو بمعنى الكفِّ والحبس، يقال: وقفت الأرض أو أوقفت الدابة؛ أي: حبستها[1] ، ويُجمعُ على : (وقوف) و (أوقاف) .

وفي الاصطلاح : عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة[2].

وأما الابتداء في اصطلاح القراء : هو الشروع في القراءة سواء كان بعد قَطْعٍ وانْصِرافٍ عنها أو بعد وقف[3] .

1.3 نشأةُ علم الوقف :

نَشأَ علمُ الوقف مع نزول القرآن الكريم لأنَّه به تُصحَّحُ التلاوة ، وتُحقَّقُ المعاني ، ولذلك تعددت النقول التي تأكد رعاية النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه لهذا الأمر أثناء التلاوةِ لكتاب الله ، وكذلك رعايتهم له في الإقراء والتعليم ، ومنها :

– فمن أمثلة رعاية الوقوف في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، ما جاء عن أم سلمة –رضي الله عنها– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية، يقول: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ثم يقف، ثم يقول: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ثم يقف، ثم يقول: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ثم يقف، ثم يقول: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)[4] ثم يقف[5] .

– وهذا على بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال في تفسير قوله تعالى: (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)[6] أنه قال: (هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف)[7] .

---

[1] – يُنظر : ابن منظور ، لسان العـــرب ،دار صادر – بيروت ، الطبعة الثالثة سنة : 1414 هـ : ج9ص359 ، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق :عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، عام النشر1399 :هـ / 1979م : ج 6ص135 .

[2]– ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، تحقيق : علي محمد الضباع ، المطبعة التجارية الكبرى ، مصر : ج1ص 240 .

[3] – غاية المريد في علم التجويد ، عطية قابل نصر ، القاهرة ، الطبعة السابعة : 233 .

[4] – سورة الفاتحة الآيات : 1،2 ، 3 ، 4 .

[5] – رواه أبو داوود ، كتاب الحروف والقراءات رقم الحديث :4001 ، وقـــال الألباني : صحيح ، يُنظر : أبو داوود ، سنن أبي داوود تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت : ج4 ص37 ، ونـــاصر الألباني ، صحيح الجامع الصغير وزياديه ، المكتب الإسلامي : ج2 ص 893 .

[6] – سورة المزمل الآية : 4 .

[7] – ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر 1/ 209 .

1.4 أهميّة ومكانة علم الوقف والابتداء :

لعلم الوقف والابتداء مكانة عظيمة ، وقيمة جليلة في باب التعامل مع كتاب الله تعالى ، وتكاد تتفق أقوال العلماء على ضرورة هذا العلم لفهم معاني القرآن ومعرفة مدلولاته ومن أقوالهم :

قال ابن الأنباري[1]: (من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء، إذ لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن إلا بمعرفة الفواصل، فهذا أدل دليل على وجوب تعلمه وتعليمه)[2] .

وقال النكزاوي[3]: (باب الوقف عظيم القدر جليل الخطر لأنه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل.)[4] .

قال السيوطي : (وهو فن جليل به يعرف كيف أداء القراءة)[5] .

فهذه بعض النقول التي تثبت نشأة هذا العلم ، وتأسيس هذا الفن متلازماً مع نزول القرآن فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يراعونه في قراءاتهم وتعليمهم .

---

[1] – الإمام، الحافظ اللغوي أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري، المقرئ النحوي، ولد سنة272هـ ، كان زاهدا متواضعا صنف في علوم القرآن والغريب والمشكل والوقف والابتداء ، وله كتاب الكافي والأضداد وغيرها ، توفي سنة 304هـ .
الذهبي ، سير أعلام النبلاء ج15ص274 .

[2] – أحمد الأشموني ، منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ، تحقيق : عبد الرحيم الطرهوني ، دار الحديث – القاهرة، مصر، عـــــام النشر: 2008 :ج 1ص 13 .

[3] – عبد الله ، معين الدين أبو محمد النكزاوي ، ولد بالإسكندرية سنة 314 هـ ، أحـد القراء ، وألف كتاب الشامل في القراءات السبع ، مات فجأة سنة 683هـ.
محمد بن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ، عني بشره ج – برجستراسر،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط الأولى 2006م 1427 هـ . ج1ص252 .

[4] – جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للـكتاب ، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م :ج 1ص 283 .

[5] – جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن :ج 1ص 282 .

أولاً : اهتمامُ الأئمة بهذا العلم تعليماً وتجويدا

حيث سار هؤلاء الأئمة على منهج النبي صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يعلّمون طلابهم وتلاميذهم مواضع الوقف الجائزة ويُنبّهون على المواضع الممنوعة ، والتي تخالف مراد الله من كلامه ، أو لا تليقُ أدبا في ذات الله سبحانه وتعالى ، ناهيك على تأكيدهم على علم الوقف تأصيلاً بالأدلة والنصوص المأثورة.

فهذا أبوعمرو الداني يروي أثاراً صحيحة في كتابه المكتفى منها :

ما جاء عن عبد الله بن عمر — رضي الله عنه – أنه قال: (لقد عشنا برهةً من دهرنا وإن أحدنا ليؤتي الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم، فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزجرها، وما ينبغي أن يقف عنده منها)[1] .

يقول الداني مُعقباً : " ففي قول ابن عمر دليل على أن تعليم ذلك توقيفٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه إجماع من الصحابة، رضوان الله عليهم"[2] .

وهذا الإمام ابن جبارة الهذلي[3] في كتابه الوقف والابتداء في كتاب الله يقول : ((والوقفُ : أدبُ القرآنِ ، ويُميِّزُ به بين الساكن والمتحرك ، ألا ترى أنّهُ لا يُبتَدأُ بساكنٍ ولا يوقفُ على متحرّكٍ.. ويُتجنَّبُ الوقف على ما يُوهم ، مثل قوله عز وجل (فبعثَ) ، ويبدئ : (اللهُ غُراباً)) ، و ((وقالت اليهودُ عزيزٌ)) ، ويبتدئ : ((ابنُ الله)) وغيرها[4] .

وذكر رحمه الله قصة حادثة بينه وبين رجل يدعي العلم ، لكن لا يفقه معاني القرآن ولا يضبط علم الوقف والابتداء ، حيث كان يقول هذا الأخير : ((إذا وقفت على : ((عُزيرٌ)) ، قلت : (نبيُّ الله) ، وإذا وقفت على ((فبعَثَ)) ، قلت : (للهِ غُراباً) ، إن وقفت على ((مبينٍ)) ، قلت : (أتَقْتُلوا يوسفَ) .

فقلتُ أنا : كأنَّ اللهَ ليس له إلا غُرابٌ واحدٌ ، كأنّ الباعثَ غيرُ الله ، ولو كان كذلك لقال الله : غرٌ ، يرتفِعُ بما عاد من الصفةِ .

---

[1] – قال الذهبي: (صحيح على شرطهما ولا علة له) . يُنظر : الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى، 1411هـ/ 1990م : ج 1ص 91 .

[2] – المكتفى في الوقف والابتداء ، أبوعمرو الداني ، تحقيق جمال الدين محمد شرف ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، مصر طبعة 1427 هـ – 2006 م ص

[3] – يوسف بن جبارة , أبو القاسم الهذلي البسكري ، الرحالة ، والعلامة الكبير ولد 390 هـ ،طاف البلدان في طلب القراءات توفى 465 هـ غاية النهاية : 2/ 397 .

[4] – كتاب الوقف والابتداء في كتاب الله ، بن جبارة الهذلي ،تحقيق : عمار أمين الددو، دار البشائر بدمشق ، الطبعة الأولى ، سنة 1431 هـ / 2010 م ، ص : 70 .

ثم قلتُ : إذا قلتَ : نبيُّ اللهِ ، فقد صدقتِ اليهودُ ، لأنّا نحن نقول : إنّ عزيرٌ نبيُّ الله ، والله تعالى كذّبهم بقوله : ((ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل))[1] .

ثم قلت : الله يقول فيما يُفَوِّهُ به إخوةُ يوسفَ : ((اَقتلوا يوسفَ)) ، وأنت تستفهمُ ؟ ممن استَفهموا ؟ من أبيهم أم من بعضهم ؟

فَبُهتَ وانقطع ، وأُخرج من المجلس ، وظنّ أنه أتى بشيء ، فصار وبالاً عليه هذا ، لقلة علمه[2] .

وهذا الإمام الصفاقسي[3] في نفس خط التأكيد على علم الوقف والابتداء في القراءة والتجويد يقول: (ومعرفة الوقف والابتداء متأكدٌ غاية التأكيد ، إذ لا يتبين معنى كلام الله ويتم على أكمل وجه إلا بذلك ، فربَّما قارئٌ يقرأُ ويقف قبل تمام المعنى ، فلا يَفهم هو ما يقرأ ومن يسمعه كذلك ، ويُفوِّتُ بسبب ذلك ما لأجله يُقرأُ كتاب الله تعالى ، ولا يظهر مع ذلك وجه الإعجاز ، بل ربما يُفهم من ذلك غير المعِنى المراد وهذا فساد عِظيم ولهذا اعتنى بعمله وتعليمه والعمل به المتقدمون والمتأخرون)[4] .

وحذّر رحمه الله تعالى من الذين لا يراعون علم الوقف في قراءتهم ولا يهتمون به ، فقال : (ومن لم يلتفت لهذا ويقف أين شاء فقد خرق الإجماع وحاد عن إتقان القراءة وتمام التجويد)[5] .

فهو يرى أن علم الوقف والابتداء مخالفته خرق لإجماع الأمة ومجانبة لإتقان القراءة وحقيقة التجويد .

وإن مما يجب التنبيه إليه في خاتمة هذا العنوان أمران :

1- أنّ الذي دعا العلماء والقراء إلى الاهتمام بهذا العلم ما كان عليه الناس من انحراف في التلاوة وخطأ في الأداء ، فيقف القارئ على غير ما ينبغي الوقوف عليه ، ويصلُ ما لا يجوز وصله ، فيصل آية الرحمة بآية العذاب وبالعكس ، فيفسد المعنى ، ويضيع المراد الذي من أجله نزلت الآية[6] .

---

[1] – سورة التوبة ، الآية : 30 .

[2] – المرجع نفسه ، كتاب الوقف والابتداء في كتاب الله ، بن جبارة الهذلي ، ص 72- 73 .

[3] – أبو الحسن علي بن محمد النوري الصفاقسي ،الإمام المقرىء المحدّث ، رحل لتونس ثم للمشرق وأخذ عن أعلام كثر ، من مؤلفاته : غيث النفع ، وتنبيه الغافلين توفي سنة 1706 هـ ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية : 1/ 465 .

[4] – تنبيه الغافلين تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله ، الصفاقسي ، تحقيق : محمد الشاذلي النيفر ، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ص: 128 .

[5] – المرجع نفسه ،تنبيه الغافلين ص: 128 .

[6] – القراء والقراءات في بلاد المغرب ، سعيد اعراب ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، سنة 1410 هـ/ 1990 ص: 180 .

2- لقد حرصت مدرسة المغاربة في القراءات على التطبيق العملي لعلم الوقف والابتداء على طريق ما يسمى بالقراءة الجماعية أو الحزب الراتب، وهي التي كان يداوم عليها الناس منذ عهد محمد بن تومرت[1] ، وهي طريقة تَلزم تحديد مواضع الوقف والابتداء ، وتوحيد الأداء لكل قارئ ، ثم اشتهر العرف عندهم على اعتماد وقوف الإمام الهبطي[2]

وكان الإمام الهبطي عالما باللغة والتفسير والقراءات ، وكان له تعمق في الآيات وتدبر ، ومُكنةٌ في النحو والإعراب ، وإطلاع واسع مستفيض على أقوال من تقدمه ، وجعل الله له الرضا والقبول في وقوفه ، وسار العلماء والقراء على نهجه[3] .

ثانياً : الكتب والمؤلفات في علم الوقف والابتداء :

لم تتخلف مدرسة القراءات القرآنية في الغرب الإسلامي عن الكتابة والتأليف في باب الوقف والابتداء ، حيث كانت جهودهم معلومة ، ومؤلفاتهم بين الناس مشهورة ومشهودة ، بل كانت مرجعا أساسيا في القراءة والتحقيق ، ومعتمدا متقدما في البيان والتأصيل.

وكانت الكتابة فيه – أي علم الوقف والابتداء – حسب الطلب والحاجة ، فمنهم من جعل كتابا مُستقلا كالداني في كتابه : المكتفى في الوقف والابتداء ، ومنهم من ضمنه لعلوم أخرى كالقراءات واللغة ، ومنهم من جعله شاملاً لجميع أبواب ومسائل الباب ، ومنهم من جعله مُختصرا في مسألة أو موضوع واحد وهكذا .

---

[1] – ابن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله: ويعرف بابن تومرت كان فقيهاً عالماً متفنناً مع ذكاء وفطنة ، أسس دولة الموحدين ، توفي 525 هـ ، يُنظر : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، ابن سالم مخلوف ، دار الكتب العلمية، لبنان الطبعة الأولى، 1424 هـ – 2003 م : 1 / 204 .

[2] – محمد بين أبي جمعة الهبطي ، من كبار الزهاد في المغرب ، ولد في حدود منتصف القرن التاسع الهجرى في مدشر أهباطة بالمغرب ، ومن مؤلفاته:الوقف الموجود بين أيدى الناس ، توفي في مدينة فاس عام 930 هـ ، يُنظر : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية : 400/1 ، و إمتاع الفُضَلاء بتَراجِم القرّاء فِيما بَعدَ القَرن الثامِن الهِجري ، (مجموعة من المؤلفين) ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، 1421 هـ – 2000 م : 252/2

[3] – مقال علم الوقف والابتداء بين علماء المشرق والمغرب دراسة نظرية تحليلية ، عوض حسن علي الوادعي ، مجلة الجامعة الإسلامية ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد : 201 ، الجزء الأول ، السنة : 55 ، ذو القعدة 1443 هـ ص : 307-308 .

ورغم أنَّ تَسميات المصنفات في باب الوقف والابتداء كانت مختلفة ، وطريقة تناول الموضوع فيها متباينة من مؤلف لآخر إلا أنها كانت تؤول إلى مقصد وحيد جامع وهو: ضبط النص القرآني رسما وقراءة ، وتلمس معانيه ومقاصده فهما وتدبراً .

ولا شك أنَّ إحصاء كل ما كتب في هذا الفن ولقرون عديدة قد لا يكون ميسورا ، وقد لا تتحمل هذه المداخلة المتواضعة الإطالة المملة ، وعليه سنذكر أولا معظم كتب الوقف والابتداء التي نُسبت للإمامين : أبي عمرو الداني . وقيس أبي طالب المكي باعتبارهما أكثر من ألفا وكتابا في هذا الفن من بلاد الغرب الإسلامي ، ثم نذكر مؤلفات أخرى منسوبة لأصحابها :

1.1مؤلفات أبي عمرو الداني في الوقف والابتداء :

فالإمام الداني كان آية في الكتابة والتأليف في علوم كثيرة منها علم الوقف والابتداء ، لقد كانت تآليفه عامرة ، محل إعجاب العلماء ، معتمد طلاب العلم نتيجة حفظه ، وتميزه في الرواية والدراية ، فإليه كان : (المنتهى في إتقان القراءات، والقراء خاضعون لتصانيفه واثقون بنقله في القراءات والرسم والتجويد والوقف والابتداء وغير ذلك، وله مائة وعشرون مصنفًا)[1].

ومن مؤلفاته :

1. كتاب الاكتفاء في معرفة الوقف والابتداء : وهو غير كتابه المعروف باسم المكتفى[2] .
2. كتاب الاكتفاء في الوقف على كلا وبلى واختلاف العلماء عليها[3] .
3. كتاب الاهتداء في الوقف والابتداء .
4. كتاب التحبير لمذاهب القراء في الوقف على المرسوم.
5. رسالة في الوقف : وهي رسالة استوعب فيها أنواع الوقف التام والكافي والحسن في جميع السور وغيرها

وقد درسها المؤلف عبد الهادي حمتو دراسة مستفيضة بين تداخلها فيما بينها ، وتسمية عناوينها ، والمطبوع والمفقود منها[4].

1.2 مؤلفات قيس أبي طالب المكي في الوقف والابتداء :

فالإمام المكي كذلك عُرف بالتآليف الكثيرة ، وقد كان –رحمه الله – من أهل التَّبَحُّر في علوم القرآن والعربيّة، حَسَن الفَهْم والخُلُق، جيّد الدِّين والعقل، كثير التّأليف في علوم القرآن، محسنًا لذلك، مجوِّدًا للقراءات السَّبْع، عالمًا بمعانيها[5].

---

[1] – تذكرة الحفاظ ،شمس الدين الذهبي ، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان ،الطبعة الأولى، 1419هـ– 1998م : 3/ 212 .

[2] – معجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني ، عبد الهادي حميتو ، مطبعة الوفاء آسفى المغرب ، الطبعة الأولى سنة 1421هـ / 2000م ، ص : 20 .

[3] – المرجع نفسه ، معجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني ، عبد الهادي حميتو ص : 20 .

[4] – يُنظر : معجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني ، عبد الهادي حميتو ، ص : 25 ، 33 ، 52 ، 62 ، 63 ، 75 .

[5] – تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، شمس الدين الذهبي ،تحقيق : عمر عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة 1413 هـ – 1993 م : 29/ 453 .

وأما جهوده في علم الوقف والابتداء فقد كانت بارزة جلية في عديد المصنفات التي ألفها ، و التي أثبتت رسوخا واضحاً ، وعالما متبحراً ، حيث ألف في هذا الفن ما يزيد عن عشر مصنفات ومنها:

1. شرح التمام والوقف .
2. والوقف التام .
3. الرسالة : الرد على من جوّز الوقف على (لا) دون (جرم) .
4. شرح اختلاف العلماء في قوله تعالى : (وما يعلم تأويله إلا الله) .
5. وشرح معنى الوقف على قوله تعالى : (لا يحزنك قولهم) .

ثالثاً : مذاهبهم في علم الوقف والابتداء

فعلماء الغرب الإسلامي كان لهم ما يميزهم عن غيرهم من علماء المشرق مثلا ، وهم يتعاملون مع وقوف القرآن تحقيقا وتصحيحا ، ولا شك عمق التدبر في القرآن تلاوة وتعليما ، والنظر في معانيه ، وتحصيل علوم اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم ، إضافة إلى الإطلاع على ما سبق في هذا الباب ، كل ذلك يجعل لمناهجهم خاصية ، ولقواعدهم ميزة ، ولجهودهم قيمة ومكانة

1.1 تقسيماتهم لأنواع الوقوف :

لقد اتفقت كلمة العلماء والقراء تقريباً حول أقسام الوقف المعتبرة في جهة القارئ وحددوها بأربعة وهي : الاختياري ، والاضطراري ، والانتظاري ، والاختباري[1] .

لكنهم اختلفوا في أنواعها المتعلقة بـ : المقروء ، اختلفوا فيها عدداً وتسميةً ، وكان لكل فريق منهم اصطلاح خاص به فأبوبكر بن الأنباري قسمها إلى ثلاثة أقسام وهي : التام – الحسن – القبيح[2]

1 - يُنظر : غاية المريد في علم التجويد ، عطية قابل نصر ، القاهرة ، الطبعة السابعة: ص 223 .

2 – الإتقان في علوم القرآن ، جـــلال الدين السيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م : 1/ 284 .

وهذا أبو جعفر النحاس قالها مجملة في عبارة : (فإن من الوقف ما هو واضح مفهوم معناه، ومنه مشكل لا يدري إلا بسماع وعلم بالتأويل ومنه ما يعلمه أهل العلم بالعربية واللغة، فيدري أين يقطع وكيف يأتنف)[1] ، واستعمل مصطلحات في كتابه منها : التام – الحسن – القبيح – الصالح – الكافي[2] .

وقال السجاوندي: الوقف على خمس مراتب: لازم، ومطلق، وجائز، ومجوز لوجه، ومرخص ضرورة[3].

قال آخرون الوقف ينقسم إلى أربعة أقسام: تام مختار، وكاف جائز، وحسن مفهوم، وقبيح متروك[4].

وأما مدرسة القراءات القرآنية بالغرب الإسلامي فقد تولى زمامها في باب الوقف والابتداء الإمام أبوعمرو الداني ، حيث قال في مقدمة كتاب المكتفى في علم الوقف والابتداء منهجه في بيان أنواع الوقف : (هذا كتاب الوقف التام والوقف الكافي والوقف الحسن في كتاب الله، عز وجل، اقتضبته من أقاويل المفسرين ، ومن كتب القراء والنحويين، واجتهدت في جمع مفترقه، وتمييز صحيحه، وإيضاح مشكله، وحذف حشوه، واختصار ألفاظه، وتقريب معانيه، وبينت ذلك كله وأوضحته، ودللت عليه، ورتبت جمعيه على السور نسقاً واحداً إلى آخر القرآن ، وهذا جهد طاقتي، وانتهاء معرفتي. ولم أخله مع ذلك في المواضع التي يحتاج إليها، من حديث مسند، وتفسير، وقراءة، ومعنى، وإعراب، من غير أن أستغرق في ذلك، وأستقصي جميعه، إذ كان سلفنا، رحمهم الله، قد كفونا ذلك، وشفوا منه في كتبهم وتصنيفهم، ولأن غرضنا في هذا الكتاب القصد إلى الإيجاز، والاختصار دون الاحتفال والإكثار، لكي يخف متناوله، وتقرب فائدته، ويعم نفعه المبتدئ الطالب والمتناهي الثاقب)[5] .

وقدّم لباب الوقف والابتداء في كتابه التحديد في الإتقان والتجويد أهمية هذا الباب ، قيمته في صيانة اللفظ القرآني وتحقيق معانيه حيث قال : (اعلموا أن التجويد لا يتحصل لقراء القرآن إلا بمعرفة الوقف ، ومواضع القطع على الكلم، وما يتجنب من ذلك لبشاعته وقبحه)[6] .

وهذه الأقسام معرفة كالتالي :

1 – القطع والائتناف أبوجعفر النحاس ، تحقيق : عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي ، دار عالم الكتب – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1413 هـ – 1992 م : ص01 .

2 – نفس المرجع : 51 – 70 – 209 .

3 – المرجع السابق ، الإتقان في علوم القرآن ، جـــلال الدين السيوطي : 1/ 287 .

4 – المرجع السابق : 1/ 285 .

5 – المرجع السابق ، المكتفى في الوقف والابتداء ، أبوعمرو الداني ، ص: 01 .

6 – التحديد في الإتقان والتجويد: الداني ، تحقيق غانم قدوري الحمد ، دار عمار عمان الأردن ، الطبعة الأولى، سنة : 2000م / 1421هـ ،ص : 174.

الوقف التام : هو الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، لأنه لا يتعلق بشيء مما بعده ولا ما بعده به. وذلك يوجد عند تمام القصص وانقضاء الكلم، وأكثر ما يكون في رؤوس الآي، إذ هي مقاطع وفواصل، وقد يجيء بعد آية وآيتين وأكثر[1].

الوقف الكافي : هو الذي يحسن الوقف عليه أيضاً والابتداء بما بعده، إلا أن الذي بعده متعلق به، وذلك نحو ((حرمت عليكم أمهاتكم))، والابتداء بما بعده في الآية كلها. ألا ترى أنه معطوف بعضه على بعض فهو متعلق بما قبله، ويسمى هذا الضرب مفهوماً أيضاً.

الوقف الحسن : الحسن هو الذي يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده، وذلك نحو الوقف على : ((الحمد لله رب العالمين)). و ((الرحمن الرحيم))[2]، وشبهه. وهو حسن لأن المراد مفهوم ، والابتداء بما بعده قبيح لأنه مجرر، ويسمى هذا الضرب صالحاً أيضاً[3].

الوقف القبيح : فهو الذي لا يعرف المراد منه، وذلك نحو الوقف على {بسم}، و {مالك} وشبههما، والابتداء بقوله {الله}، و {يوم الدين}، ألا ترى أنه إذا وقف عليه لم يعلم إلى أي شيء أضيف. وهذا يسمى وقف الضرورة لتمكن انقطاع النفس عنده. والقراء ينهون عن الوقف على هذا الضرب وينكرونه، ويستحبون لمن انقطع نفسه عليه وعلى ما أشبهه من الوقف القبيح ، والبشيع أن يرجع إلى ما قبله حتى يصله بما بعده[4].

والمختار الوقف التام، والكافي مستحسن، والحسن جائزٌ إذا اضطر إليه القاري.

لقد اعتمد الداني في تقسيمه للوقف على قول ابن النحاس: بأنها أربعة تام مختار، وكاف جائز، وصالح مفهوم (الحسن)، وقبيح متروك، ثم قال: " وهو أعدل عندي وبه أقول؛ لأن القارئ به قد ينقطع نفسه دون التام والكافي فلا يتهيآن له، وذلك عند طول القصة وتعلق الكلام بعضه ببعض، فيقطع حينئذٍ على الحسن المفهوم تيسيرًا وسعة؛ إذ لا حرج في ذلك في سنة ولا عربية"[5].

1.2ضابط هذه الأقسام :

وقال بعض أهل العلم : (أنّ الضابط فى التفريق بين هذه الأنواع الأربع هو النظر إلى العبارة التى قبل موضع الوقف والعبارة التى بعده فيبحثون عن ثلاثة روابط وبحسب وجود شيء منها أو وجودها كلها يكون تحديد نوع الوقف وحكمه وهى: الروابط اللفظية ، و المعنى الخاص بكل عبارة ، والسياق العام)[6] .

---

1 – المرجع نفسه : 174 .

2 – سورة الفاتحة ، الآية : 2–3 .

3 – المرجع نفسه : 174–175 .

4 – المكتفى ، الداني : 139 .

5 – المكتفى ، الداني : 139 .

6 – الوقف القرآني وأثره في الترجيح عند الحنفية ، عزت شحاته كرار محمد ، مؤسسة المختار – القاهرة ، الطبعة الأولى، 1424 هـ – 2003 م ، ص: 18 .

فإذا لم يوجد أي رابط لفظي بين العبارتين، وكان المعنى الخاص بكل عبارة كاملا بنفسه ولا يحتاج إلى العبارة الأخرى ليكمل ويصير معنى مفيدا ، وكانت العبارة الثانية بداية موضوع وسياق جديد فهذا هو التام أما إن كان السياق لا يزال واحدا فهذا الكافي وإن وجد بين العبارتين رابط لفظي ورابط في المعنى والسياق العام إلا أن العبارة الأولى بنفسها تشكّل معنى مفيدا فهذا هو الحسن فإن كان كل من العبارتين محتاجا إلى الآخر بحيث لا يكون بنفسه معنى مفيدا إلا بالعبارة الأخرى فالوقف حينئذ بينهما قبيح[1] .

ولقد سار المغاربة جميعا وغيرهم من بلاد الأندلس على ما قرره الإمام الداني من تقسيمات للوقف فكان من جاء بعده عالة عليه ، متبعا أثره ، موافقا لمن اختاره رحمه الله من أقسام للوقف .

فهذا ابن الطحان بعد أسرد تقسيمات العلماء للوقف ، ذكر تقسيمات الداني ثم عقّب بعدها قائلا: (والقسم الثالث – وهو تقسيم الداني – أحسن في الترجيح من الثاني وأوفر ، وسراجه للمهتدين أشرق وأنور ، وعليه الحذاق من أهل التأويل ، وبه نقول لرجحانه في ميزان التعليل)[2] .

ومثل ذلك موافقة الصفاقسي لاختيار للداني في أقسام الوقف يقول : (ويعضهم توسط وحرر وأمعن النظر وتدبر فجعلها أربعة أقسام: تاما وكافيا وحسنا وقبيحا، وربما يتفقون على العدد ويختلفون في التسمية فبعضهم يسمي التام كاملا، وبعضهم يسميه حسنا، وبعضهم كافيا، وبعضهم مطلقا، وبعضهم مختارا، وبعضهم يسمي الكافي حسنا، والحسن كافيا، وبعضهم يسمي الكافي بالجائز والصالح بالمفهوم، وليس هذا خلافا في الحقيقة بل لكل مصطلح مشى عليه وتقسيم منسوب إليه والمختار عندي تبعا للداني)[3]

رابعاً : أثرهم في غيرهم من مدارس القراءات في باب الوقف والابتداء خاصة:

اشتهر أئمة وعلماء على رأس مدرسة القراءات في الغرب الإسلامي ، فاهتموا بعلم الوقف والابتداء ، فقعدوا قواعده ، وضبطوا مصطلحاته ، وألفوا فيه الكتب والمصنفات ، وتأثر بهم طلاب العلم ، والراغبين في تعلم القراءات وما فيها من تحقيقات ووقوف وضبط .ثم الانتشار الواسع لمؤلفاتهم وغيرها من الأسباب التي هيأت لهم القبول والرضا في بلدان عديدة وجهات كثيرة .

ولعل الإمام الداني كان على رأس هذه المدرسة : فكان بحق عالمها المبرّز ، وإمامها المحقق ، واضع قواعدها ، ومؤصل علومها ومنها بلا شك : علم الوقف والابتداء

1 – الأثر النحوي لظاهرة الوقف في النص القرآني ، هالة عثمان ، دار التقوى 1994 : ص 9 .

2 – نظام الأداء في الوقف والابتداء ، ابن الطحان ، تحقيق : علي حسين البواب ، مكتبة المعارف ، الرياض 1406 هـ .ص : 28 .

3 – تنبيه الغافلين ، الصفاقسي ، ص : 131 .

فقد تبعه علماء كثر ، وسار على نهجه وعلمه سادة بلا حصر ، وافقوه في آرائه ، واتبعوه في اختياراته ، حيث تناقلوا كتابه : المكتفى في الوقف والابتداء ، فاعتمدوا على ما فيه ، ونصحوا به أهل الفن تعلما وتعليما ، فكان بذلك أشهر الكتب في باب علم الوقف والابتداء .

ووافقه الإمام السخاوي حيث قال : (والوقف على أربعة أقسام: تام: وهو الذي انفصل مما بعده لفظاً ومعنى ، وكافٍ: وهو الذي انفصل مما بعده في اللفظ، وله به تعلق في

المعنى بوجه ، وحسن: وهو الذي لا يحتاج إلى ما بعده؛ لأنه مفهوم دونه ويحتاج ما بعده إليه لجرَيَانه في اللفظ عليه ، وقبيح: وهو الذي لا يفهم منه كلام، أو يفهم منه غير المراد

وقال قوم: الوقف قسمان: تام وقبيح، فعند هؤلاء الوقف في الأقسام ، الثلاثة تام.

وقال آخرون: الوقف ثلاثة: تام وكاف وقبيح، فجعلوا الحسن من جملة القبيح، والاختيار تفصيل هذه الأوقاف، وتقسيمها إلى أربعة كما سبق)[1] ، وهو مذهب الداني في أقسام الوقف .

وسار على مذهب الداني أيضا اصطلاحا وتقسيما الإمام ابن الجزري وهو إمام الأئمة ومرجعها في القراءات وعلومها وأصولها مشرقا وفي الأمة قاطبة ، حيث قال في التمهيد : (اعلم أن علماءنا اختلفوا في أقسام الوقف، والمختار منه بيان أربعة أقسام: تام مختار، وكاف جائز، وحسن مفهوم، وقبيح متروك)[2] .

ومن الذين تأثروا بالإمام الداني :أبي يحي زكريا الأنصاري حيث يقول في مقدمة كتاب المقصد : (فهذا مختصر المرشد في الوقف والابتداء ألفه العلامة أبو محمد الحسنُ بن علي بن سعيدِ العَمَّاني رحمه الله تعالى وقد التزم أن يورد فيه جميعَ ما أورد أهل هذا الفنِّ وأنا أذكر مقصود ما فيه مع زيادة بيان محلِّ النزول وزيادة أخرى غالبها عن أبي عمرو عثمانَ بن سعيد المقرئ)[3] .

وأخيراً فهذه المباحث الأربعة التي أشرنا إليها سابقاً : تجمع صورة كاملة تقريباً ، ونظرة شاملة جمعا واجتهداً لعلم الوقف والابتداء عند مدرسة القراءات بالغرب الإسلامي ، وتعطي خلاصة لما يتميز به أهل المغرب والأندلس من قواعد ومناهج وتراث أصيل ، وأثر عميق في باب عظيم من أبواب إحكام القراءة وإتقانها وتجويدها وهو علم الوقوف .

خاتمة:

وفي ختام هذه المداخلة نصل إلى جملة من النتائج :

1 – جمال القراء وكمال الإقراء ،علم الدين السخاوي ، تحقيق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، الطبعة الأولى، 1419 هـ – 1999 م ، ص:684 .

2- التمهيد في علم التجويد : ابن الجزري ، تحقيق غانم قدّوري حمد ، مؤسس الرسالة ، بيروت – لبنان الطبعة الأولى ، سنة : 1421هـ 2001 م ، ص: 165 .

3 – المقصد لتلخيص ما في المرشد ،زكريا الأنصاري، دار المصحف ، الطبعة الثانية، 1405 هـ – 1985 م ، ص : 1 .

1. تُعد مدرسة القراءات في الغرب الإسلامي مدرسة عريقة ومتأصلة في علم الوقف والابتداء .
2. تُعتبر كتب الإمام الداني وآراؤه وتقسيماته للوقف هي الأساس في مدرسة الغرب الإسلامي للقراءات .
3. تأثير هذه المدرسة في غيرها من العلماء والقراء والمدارس لقوة ورجاحة آرائها حتى أصبحت موضع اقتداء وإتباع .

كما نوصي بجملة من التوصيات :

1. زيادة الاهتمام بمؤلفات الوقف والابتداء في الغرب الإسلامي التي ما زالت مفقودة أو غير محققة ، سواء كانت للإمام الداني أو المكي أو غيرها .
2. تشجيع الدراسات والملتقيات التي تجمع بين علم الوقف والآثار المترتبة عليه في باب المعاني والتفاسير .

وفي الأخير أسال الله تعالى أن يجعل عملي هذا صالحاً ولوجهه خالصا ، وأن يجعله في موازين أعمالي يوم ألقاه .
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم) .

1) الإتقان في علوم القرآن ، جـــلال الدين السيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م .
2) الأثر النحوي لظاهرة الوقف في النص القرآني ، هالة عثمان ، دار التقوى 1994 (دون ذكر عدد الطبعة).
3) إمتاع الفُضَلاء بتَراجِم القرّاء فِيما بَعدَ القَرن الثامِن الهِجري ، (مجموعة من المؤلفين) ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2000 م .
4) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، شمس الدين الذهبي ،تحقيق : عمر عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الثانية ، سنة 1413 هـ - 1993 م .
5) التحديد في الإتقان والتجويد: الداني ، تحقيق غانم قدوري الحمد ، دار عمار عمان الأردن الطبعة الأولى، سنة : 2000م / 1421هـ .

6) تذكرة الحفاظ ،شمس الدين الذهبي ، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان ،الطبعة الأولى، 1419هـ– 1998م .

7) التمهيد في علم التجويد : ابن الجزري ، تحقيق غانم قدّوري حمد ، مؤسس الرسالة ، بيروت – لبنان الطبعة الأولى ، سنة : 1421هـ 2001 م .

8) تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله ، الصفاقسي تحقيق : محمد الشاذلي النيفر ، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ، (دون ذكر عدد الطبعة أو تاريخها) .

9) جمال القراء وكمال الإقراء ،علم الدين السخاوي ، تحقيق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، الطبعة الأولى، 1419 هـ – 1999 م .

10) الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى، 1411هـ/ 1990م .

11) سنن أبي داوود ، أبو داوود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ، (دون ذكر عدد الطبعة أو تاريخها) .

12) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، تحقيق مجموعة من الأساتذة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الـرسالة ، الطبعة الثالثة سنة 1405 هـ / 1985 م .

13) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، ابن سالم مخلوف ، دار الكتب العلمية، لبنان الطبعة الأولى، 1424 هـ – 2003 م.

14) صحيح البخاري .

15) علم الوقف والابتداء بين علماء المشرق والمغرب دراسة نظرية تحليلية ، عوض حسن علي الوادعي ، مقال علمي في مجلة الجامعة الإسلامية ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ذو القعدة 1443 هـ .

16) غاية المريد في علم التجويد ، عطية قابل نصر ، القاهرة ، الطبعة السابعة، (دون ذكر عدد الطبعة) .

17) غاية النهاية في طبقات القراء ، محمد بن الجزري ، عني بشره ج – برجستراسر،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط الأولى 2006م 1427 هـ .

18) القراء والقراءات في بلاد المغرب ، سعيد اعراب ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، سنة 1410 هـ/ 1990 .

19) القطع والائتناف ، أبوجعفر النحاس ، تحقيق : عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي ، دار عالم الكتب – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1413 هـ – 1992 م .

20) كتاب الوقف والابتداء في كتاب الله ، بن جبارة الهذلي ،تحقيق : عمار أمين الددو، دار البشائر بدمشق ، الطبعة الأولى ، سنة 1431 هـ / 2010 م .

21) لسان العرب ،ابن منظور ،دار صادر – بيروت ، الطبعة الثالثة سنة : 1414 هـ .

22) معجم مصنفات الوقف والابتداء دراسة تحليلية تاريخية ، محمد توفيق حديد ، مركز تفسير للدراسات القرآنية ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، سنة 1437 هـ / 2016 م .

23) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق :عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، عام النشر1399 :هـ / 1979م.

24) معجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني ، عبد الهادي حميتو ، مطبعة الوفاء آسفى المغرب ، الطبعة الأولى سنة 1421هـ / 2000م .

25) المقصد لتلخيص ما في المرشد ،زكريا الأنصاري، دار المصحف ، الطبعة الثانية، 1405 هـ – 1985 م .

26) المكتفى في الوقف والابتداء ، أبوعمرو الداني ، تحقيق جمال الدين محمد شرف ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، مصر طبعة 1427 هـ – 2006 م .

27) منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ، أحمد الأشموني ، تحقيق : عبد الرحيم الطرهوني ، دار الحديث – القاهرة، مصر، عـــــام النشر: 2008 (دون ذكر عدد الطبعة) .

28) النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، تحقيق : علي محمد الضباع ، المطبعة التجارية الكبرى ، مصر .

29) نظام الأداء في الوقف والابتداء ، ابن الطحان ، تحقيق : علي حسين البواب ، مكتبة المعارف ، الرياض 1406 هـ .

30) الوقف القرآني وأثره في الترجيح عند الحنفية ، عزت شحاته كرار محمد ، مؤسسة المختار – القاهرة ،الطبعة الأولى، 1424 هـ 2003 م .